

موتيف شخصية نوح عليه السلام في شعر أديب كمال الدين *

الأستاذ المساعد الدكتور

نعيم عموري

جمهورية إيران الإسلامية

جامعة الشهيد چمران- الأهواز

المقدمة:

تطور النقد الأدبي بمرّ الزمن وبتعاقب الأيام و الأحداث الاجتماعية التي تحيط به، فالنظريات النقدية التي تُطرح عادة لها صلة وثيقة أو ضعيفة بالنظريات التي كانت على وجه الخصوص- في الأدب العربي فقضية التناص لها جذور بالاقتراس و التضمين و السرقة الأدبية و الموتيف يرتبط بقضية التكرار و هو مبحث في البلاغة العربية و قد تطرّق إليه القدماء، الموتيف في هذا البحث أعني به تكرار الفكرة في الحرف الواحد أو الكلمة أو العبارة أو الفكرة المتكررة و لكن المهم في الموتيف تكرار الفكرة الواحدة المتكررة، في هذا البحث الذي يحمل عنوان «موتيف "نوح عليه السلام" في شعر أديب كمال الدين» أدرس الموتيف لغة و اصطلاحاً و صلة الموتيف باللغة العربية و من ثمّ تطبيق الموتيف على شعر كمال الدين، يهدف هذا البحث إلى الكشف عن ظاهرة الموتيف في شعر أديب كمال الدين، تلك الظاهرة التي ظهرت بوضوح في شعره، التي ترتبط - إلى حدّ ما - ارتباطاً وثيقاً بنفسية الشاعر وبناء حياته، إذ يقوم الموتيف على جملة من الاختيارات الأسلوبية لمادة دون أخرى ولصياغة لغوية دون أخرى، مما يكشف في النهاية عن سر ميل الشاعر لهذا النمط الأسلوبي دون غيره. كما يهدف البحث إلى محاولة التعرف على طبيعة هذه الظاهرة وكيفية بنائها وصياغتها وتركيبها وإلى أي مدى استطاع الشاعر أن يوفق في بنائها ليجعل منها أداة فاعلة داخل النص الشعري وأن يوظفها توظيفاً دقيقاً لتصبح أداة جمالية تحرك فضاء النص الشعري وتنقله من السكون إلى الحركة والموسيقية. كما يحاول البحث التعرف على محاور

موتيف شخصية نوح ﷺ في شعر أديب كمال الدين (١٢٠)

الموتيف وأنماطه عند أديب كمال الدين التي تمثلت في موتيف الكلمة وموتيف العبارة وموتيف الجملة، ودور هذه المحاور في بناء الجملة على اختلاف أشكالها عند الشاعر، وإلى أي مدى كانت هذه المحاور قادرة على تكوين سياقات شعرية جديدة ذات دلالات قوية ومثيرة لدى المتلقي التي تعمل على جذب انتباهه وشده ليعيش داخل الحدث الشعري الذي يصوره الشاعر.

سؤالات البحث:

- ١- لماذا وظّف أديب كمال الدين موتيف نوح ﷺ في شعره؟
- ٢- لماذا استخدم أديب كمال الدين التناص و توظيف التراث في موتيفاته الأدبية؟

فرضيات البحث:

- ١- هناك نوع من العرفانية و الصوفية التي اتصف بها اديب كمال الدين، فتوجه نحو موتيف نوح ﷺ و أراد به الدين الين الخفيف و أراد به رسول السماء فتحدث و ناجى نوحاً و أراد بالسفينة الاستقرار و الأمان و الراحة تلك التي من ركبها نجا، في الواقع لجأ أديب كمال الدين الى تكرار فكرة نوح و سفينته لبيان الاضطهاد و الظلم الذي وقع عليه أولاً و على الشعب العراقي الأعزل ثانياً.
- ٢- استخدم أديب كمال الدين التناص و توظيف التراث في موتيفاته الأدبية و سبب ذلك لجوئه و انغماسه في التناص و خاصة التناص القرآني و يريد به تقوية موتيفه و دعم فكرته المكررة و هكذا وظّف الكثير من الشخصيات الدينية و الرسل و خاصة نوح ﷺ لاستخدام تجاربهم المختلفة في مكافحة الموت أي: الاضطهاد و دعم موتيف الحرية أي: الحياة.

خلفية البحث:

إنّ أوّل دراسات معمّقة و خصبة حول الموتيف في الأعمال الأدبية لقد ظهرت في الأوساط الثقافية الغربية. و أوّل دراسة في هذا الصدد، هي الدراسة التي أعدّها "استيت تامسون" أواخر الستينات من القرن العشرين تحت عنوان "معجم

موضوعات الأدب العالمي". و الدراسة الثانية في هذا المجال هي دراسة " اليزابت فرنزيل" الألمانية، التي أثرت المكتبة العالمية بكتابين هما: «مضامين الأدب العالمي» و «موتيف الأدب العالمي»، و قد إهتدي بهما الكثير من الباحثين (تقوي، ١٣٨٨هـ ش: ٨ و ٩). لكننا في الأدبين العربي و الفارسي لم نعر علي دراسات حول الموتيف قبل عقدين من الزمن، فقد دخل هذا المصطلح مؤخراً و من خلال النقد الأدبي الغربي و علي الرغم من ذلك لم يحظ بدراسات معمقة في هذين الأدبين بل أشار له بعض النقاد و الباحثين في طيات دراساتهم النقدية معرضين عن أصوله و جذوره و لعل دراسة محمد تقوي عن الموتيف الموسومة بـ "موتيف چيست و چگونه شكل می گیرد" والتي تم نشرها بمجلة "نقد ادبی" في جامعة "تربيت مدرس" هي الفريدة من نوعها في هذا المجال. ومقالة الدكتور رسول بلاوي والتي تحمل عنوان «موتيف الإغتراب في شعر يحيى السماوي» و التي تم نشرها في مجلة العلوم الإنسانية الدولية بجامعة تربيت مدرس. (بلاوي و آخرون، ٢٠١٢م: ٧٧) و مقالة الدكتورة مرضية آباد بعنوان «موتيف "النهر والبحر" في شعر يحيى السماوي» في مجلة العلوم الإنسانية الدولية بجامعة تربيت مدرس في عام ٢٠١٣م. ومقالة «تقنيات إثراء الدلالة في شعر أديب كمال الدين» للدكتورة روشنفكر في مجلة العلوم الإنسانية الدولية بجامعة تربيت مدرس في عام ٢٠١٣م.

الموتيف لغة و اصطلاحاً:

لم ترد هذه المفردة في المعاجم العربية، أصل الكلمة بهذه الهيئة والإستعمال المتداول فرنسوية وقد دخلت في اللغات العالمية الأخرى. الموتيف لغة تعني الحركة، الإثارة، الإلحاح والدافع. تستخدم كلمة "الموتيف" في فنون وعلوم مختلفة، منها: الرسم والنحت والهندسة المعمارية والموسيقى والحياكة والخياطة والتصوير والأدب. والموتيف في الأدب يعني الفكرة الرئيسة أو الموضوع الذي

يتكرر في العمل الأدبي، أو المفردة المتكررة، أو الحافز و الباعث (طه، ٢٠٠٤م: ٢٠٨) تُعرف كلمة «موتيف» بشكل عام بأنها الجزء المتكرر والمستمر الحامل لمعنى أو قيمة ثقافية، والذي يدخل في تكوين الشكل أو المحتوى لمختلف أنواع الإنتاج الثقافي (الشامي، ٢٠٠٧م: ٢٩). في اللغة والآداب الفارسية فقد تُرجم هذا المصطلح بـ (بن مايه)، أو (درون مايه)، أو (نقش مايه)، وهذه الترجمة لا تدلّ علي هذا الجانب لأنّ الأساس في الموتيف هو التكرار، تكرار الفكرة أو المفردة أو المصطلح في أدب الكاتب أو الشاعر، لأنّ الموتيف قد يكون كلمة فعلاً أو إسماءً أو أداة، وقد يكون فكرة أو جملة أو تعبير يتكرر في مرحلة ما، عند شاعر أو كاتب محدد، (بلاوي وآخرون، ٢٠١٢م: ٧٨) ومن أمثلة ذلك في الشعر الجاهلي فكرة "الهامة" وهي روح القتيل طالبة للثأر، وفكرة الوقوف على الأطلال، والنسيب، والخمر، ووصف المها أو الناقة، أو "الأنا" عند المتنبي، و"حدثني عيسى بن هشام" في مقامات الهمذاني، و"أدركت شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح" في ألف ليلة وليلة، والتأريخ الشعري في عصر الانحطاط، و"الحارة" عند نجيب محفوظ، و"الخمرة" عند ابن الفارض، و"الأرض" عند شعراء المقاومة و شعراء فلسطين وخاصة محمود درويش و صورة "الحجر" في شعر الانتفاضة الفلسطينية. (طه، ٢٠٠٤م: ٢٠٧)

الموتيف و جذوره العربية:

تشكل ظاهرة الموتيف في الشعر العربي بأشكال مختلفة متنوعة فهي تبدأ من الحرف وتمتد إلى الكلمة وإلى العبارة وإلى بيت الشعر وكل شكل من هذه الأشكال يعمل على إبراز جانب تأثيري خاص للموتيف، وتجدر الإشارة إلى أن الجانب الإيقاعي في الشعر قائم على الموتيف، فبحور الشعر العربي تتكون من مقاطع متساوية والسر في ذلك يعود إلى أن التفعيلات العروضية متكررة في الأبيات فمثلاً في بحر الرجز: مستفعلن مستفعلن، مستفعلن. هذا بالإضافة إلى أن التفعيلة نفسها تقوم على الموتيف مقاطع متساوية.

إن هذا الموتيف المتماثل أو المتساوي يخلق جواً موسيقياً متناسقاً، فالإيقاع ما هو إلا أصوات مكررة وهذه الأصوات المكررة تثير في النفس انفعالاً ما و نفس التفعيلة المكررة في الشعر الحر تؤثر على نفسية المتلقي "وللشعر نواح عدة للجمال أسرعها إلى نفوسنا ما فيه من جرس الألفاظ وانسجام توالي المقاطع وتردد بعضها بقدر معين وكل هذا ما نسميه بموسيقى الشعر (أنيس، ٢٠٠٨م: ٨). وقد أشار إلى هذا الناقد ريتشاردز بقوله "فالإيقاع يعتمد كما يعتمد على الوزن الذي هو صورته الخاصة على التكرار والتوقع، فآثار الإيقاع والوزن تتبع من توقعنا سواء كان ما نتوقع حدوثه يحدث أو لا يحدث (ريتشاردز، ١٩٩٥م: ١٨٨). وتشير نازك الملائكة إلى هذه الظاهرة في الشعر العربي وبينت أن التكرار في ذاته ليس جمالاً يضاف إلى القصيدة وإنما هو كسائر الأساليب في كونه يحتاج إلى أن يجيء في مكانه من القصيدة وأن تلمسه يد الشاعر تلك اللمسة السحرية التي تبعث الحياة في الكلمات، لأنه يمتلك طبيعة خادعة فهو على سهولته وقدرته في إحداث موسيقى يستطيع أن يضلل الشاعر ويوقعه في مزلق تعبير، فهو يحتوي على إمكانيات تعبيرية تغني المعنى إذا استطاع الشاعر أن يسيطر عليه ويستخدمه في موضعه وإلا فإنه يتحول إلى مجرد تكرارات لفظية مبتذلة (الملائكة، ١٩٩٦م: ٢٦٣). كما أشارت إلى أنواع التكرار وحصرتها في تكرار الكلمة والعبارة والمقطع والحرف وترى أن أبسط أنواع التكرار؛ تكرار كلمة واحدة في أول كل بيت من مجموعة أبيات متتالية في قصيدة، وهو لون شائع في شعرنا المعاصر، يلجأ إليه صغار الشعراء ولا يعطيه الأصاله والجمال إلا شاعر موهوب حاذق يدرك المعول لا على التكرار نفسه وإنما ما بعد الكلمة المكررة (نفس المصدر، ٢٦٨) و الموتيف هو تكرار الفكرة التي تحمها هذه اللفظة المفردة الكثرة أو العبارة المكررة.

الموتيف عند أديب كمال الدين صورة لافتة للنظر، تشكلت في ديوانه ضمن محاور متنوعة وقعت في الكلمة، وقد ظهرت في شعره بشكل واضح وشكل منها إيقاعات موسيقية متنوعة تجعل القارئ والمستمع يعيش الحدث الشعري المكرر

وتنقله إلى أجواء الشاعر النفسية، إذ كان يضفي على بعض هذه الموتيفات مشاعره الخاصة فهي بمثابة لوحات إسقاطية يتخذها وسيلة للتخفيف من حدة الصراع الذي كان يعيشه أو حدة الإرهاصات التي واجهها في حياته سواء ما تعلق بمحيطه العراقي أو محيطه الخارجي أو قد تكون ناتجة عن تأثير الثقافات العربية التي اطلع عليها كجبران أو الغربية كتأثيره بالبيئة الغربية، إضافة إلى إحساس كمال الدين المرهف الذي جعله يعيش غربة روحية وفكرية، فحاول التخلص منها برحلته الخيالية إلى الفردوس المفقود الذي ينشد فيه الكمال والسعادة. فأصيب بخيبة أمل من هذا الواقع، مما جعله يلح ويؤكد على التغيير والتبديل للارتحال إلى عالم آخر، فوجد في الموتيف غايته وطموحه.

ثار على الحياة لتفاؤله بما بعد الحياة وثار على إنسان عصره لإحساسه بوجود كوني آخر يتمثل فيه الإنسان المثال أو النموذج، لذلك حاول أن يخلق من خلال الموتيف واقعا سياسيا واجتماعيا جديداً، فوظف هذه الصور الموتيفية لرفض النمط التقليدي على مستوى الإنسان وعلى مستوى المجتمع، وهذا التجديد لا يختلف عن محاولات الشاعر التجديدية التي ظهرت في شعره، فكان يكتب من فيض الروح ويستنطقها، لذلك كان شعره قريب الفهم والإدراك، لأن لغة الروح لغة كل زمان ومكان، وهذه اللغة تمثلت في عباراته البسيطة، لكنها كالسيف القاطع تهوي في خط مستقيم غلب عليها أنها عبارات موسيقية راقصة (رابعة، ١٩٨٨م: ٥) إن الموتيف يعتمد في طبيعته على الإعادة لقوالب لغوية متنوعة ومختلفة في إيقاعها وطاقاتها الإيحائية التي تعتمد على اللغة الشعرية ذات الدلالات والطاقات المميزة عن لغة الشر وقد أدرك "بالي" - أهمية هذا الجانب في اللغة عندما فهم الأسلوبية على أنها بحث - أو علم الوسائل اللغوية من زاوية نظر وظيفتها الانفعالية والتأثيرية (نفس المصدر، ١٩٨٨م: ٥). واللغة الشعرية تعتمد على الإثارة والانفعال فاللغة الشعرية هي لغة انفعالية، تتوجه إلى

القلب وتعتمد بشكل رئيسي على اللغة الموسيقية التي يمكنها هي الأخرى أن تثير انفعالات وإحساسات لا تحصى.

وقد ظهرت هذه الموسيقية عند كمال الدين على أساس تأثيرها في نفسية المتلقي. لا يخفى أن تكرار فكرة/ صورة/ رمز ما حتى يصبح موتيفاً، يعني أهمية تلك الفكرة/ الصورة/ الرمز عند الشاعر، حيث تضجّ في رأسه حتى تملأ عليه نفسه، بمعنى أن للموتيف دلالة نفسية، تشير إلى انهماك الشاعر في بُعد معين أو إستغراقه في فكرة ما، ثم «تبدأ له من تراث إنساني وروحي، وكأنك تحس بها قد أغلقت دونه كل طريق، فحيثما إتجه يمثّلها هناك، فإذا هو أغلق نفسه دون الأشياء، إصطدم بها كذلك في أعماق نفسه» (اسماعيل، ١٩٧٢م: ١٦٦). ثم يروح يقولها ويمدّها بشرايين جديدة، تعطيها القوة والحيوية والألق، وتحقق لها حضورها وفاعليتها. الموتيف لا يقوم فقط على مجرد تكرار اللفظة في السياق الشعري، وإنما يقوم على ما تتركه هذه اللفظة من أثر انفعالي في نفس المتلقي، وبذلك فإنه يعكس جانباً من الموقف النفسي والانفعالي، ومثل هذا الجانب لا يمكن فهمه إلا من خلال دراسة الموتيف داخل النص الشعري الذي ورد فيه، فكل موتيف يحمل في ثناياه دلالات نفسية وانفعالية مختلفة تفرضها طبيعة السياق الشعري، ولولا ذلك لكان تكراراً لجملة من الأشياء التي لا تؤدي إلى معنى أو وظيفة في البناء الشعري، فالموتيف إحدى الأدوات الجمالية التي تساعد الشاعر على تشكيل موقفه وتصويره في إثراء الدلالات والبناء الشعري.

دراسة موتيف نوح عليه السلام

استمرار كمال الدين في المثاقفة يمنح من خزينه المعرفي وتناصاته مع تكويناته الاجتماعية والاحتفاظ بإشراط الشعرية الملتزمة تجاه الشعر بالمغايرة والحدّاة، واتجه نحو النص القرآني وهذا قصدي من التجربة الشعرية التي لا تعني الالتزام من ناحية ولا تعني الانحياز إلى الفنية حتى الوصول إلى مبدأ الفن للفن من ناحية

أخرى. إنما الاستيعاب والقصدية في التوجيه، فله عين شعرية شاخصة تنشط بين التقاط أشياء الوعي أحياناً وخليط اللاوعي أحياناً أخرى. يغدو الحدث القرآني حدثاً مركباً يضم الحدث الأصلي والحدث النصي أي الذي كتبه في نصه وهو غير منظور، ويغدو نصه مرآة محدبة تضم وتجمع كلا الحدثين وكلا البطلين، أقصد بطل القرآن والشاعر وكأنهما مرآة لبعضهما البعض. ما يؤكد الكلام أعلاه ما نقرأه في المقاطع الباقية من النص ذاته حيث إن الحدث القرآني بقي متصلاً ولم يحدث فيه أي قطع، وهذا الاتصال يظهر بينا في ثنايا النص، فبعد أن انتهى الطوفان استمرت الأحداث بالنمو من خلال أحداث أساطير أخرى أو أحداث دينية مقدسة، فالناس الصالحون الذين أنقذهم "نوح" لم يتوانوا عن اضرام النار لرسول وهاد آخر هو إبراهيم، ومرة أخرى يلقي الشاعر وسط (الحدث) النار. وقد تقمص أديب كمال الدين هذه الشخصيات التاريخية الدينية.

اما موتيف نوح ﷺ فيظهر تارة نفس الشاعر المكافح وتارة أخرى الشعب المضطهد وتارة أخرى نفس نوح ﷺ وذلك لأخذ العبرة من التأريخ البشري، فعاش أديب كمال الدين و تعايش مع هذه الشخصية العظيمة و نلاحظ في مقطوعات متعددة موتيفات عدة لهذا الرسول العظيم:

«إشارة نوح

إلهي، / أفنيتُ العمرَ كله / أنتظرُ نوحاً / رغمَ أنني أعرفُ أن نوحاً / قد جاءَ ومضى. / هكذا فأنا منذُ ألف ألف عام / أجلسُ على الشاطئ وحيداً / أرسمُ فوق الرملِ سفينةَ نوح / أو غرابَ نوح / أو حمامةَ نوح / أو ابنَ نوح / أو صيحاتِ نوح. / وحينَ أتعبُ حدَّ البكاء / أرسمُ رجلاً يشبهني تماماً / يجلسُ على الشاطئ / ليرسمَ نوحاً وينوح!» (كمال الدين، ٢٠١٤م: ١٨)

في مجموعته الشعرية "إشارة الألف" غاص أديب كمال الدين في معاني عميقة و أغار على الحروف و الكلمات و الالفاظ و المعاني و سخر ما سخر منها و وظف ما وظف منها، فمن هذه الكلمات و الأسماء وظف اسم «نوح ﷺ» □

العظيم واستلهم منه المعاني العديدة، ففي إشارة نوح يأتي هذا الموتيف بتكرار تسع مرات و في معاني جديدة تتصف بالصوفية و العرفانية الحديثة التي يتصف بها اديب كمال الدين، في بداية المقطوعة يتجه الموتيف في إطار دعائي الى السير التاريخي بأن نوحاً جاء و مضى لكن لم تنته الحكاية فالشاعر ينتظر نوحاً و يجلس على الشاطئ و يرسم سفينة نوح كل هذا يعطي ضحاً معنوياً لهذه الموتيفات المتعددة سفينة نوح/ غراب نوح/ حمامة نوح/ ابن نوح/ صىحات نوح/ كل هذه الموتيفات لاتشير فقط الى الحوادث التاريخية التي مضت بل هناك حوادث وقعت في ايام الشاعر الظلم و الاضطهاد الذي وقع على الشعب العراقي و ذلك الشعب الذي كان يصيح من وقع الظلم عليه فسفينة نوح هي النجاة و الغراب/ الحمامة/ ابن نوح و الصىحات كلها رموز تشير الى صيحات العدالة في أرض الرافدين.

«إشارة الحبال

إلهي، /أفنيْتُ عمري/ وأنا أمشي على حبلين: /قدمي اليمنى/ تمشي على حبل من نار، /وقدمي اليسرى/ تمشي على حبل من دموع. /وإذ ناديت علي فرحت/ إذ سأدخل في ميم الموت قليلاً/ لأنفذ من ثم/ إلى تاء الموت الطويلة/ كسفينة نوح. حيثئذ، /وحيثئذ فقط، /سأنسى الحبلين/ وستستريح قدماي للمرة الأولى. /نعم، /ففي سفينة نوح/ ليس هناك من حبال سوى حبال النور. (نفس المصدر، ٢٠١٤م: ٤٦)

في إشارة الحبال و في فناء العمر و في السير على الحبال/ الأخطار ليس هناك من ملجأ يلتجئ إليه إلا سفينة نوح فموتيف نوح و سفينة نوح تشير الى النجاح ثم يعكس مفهوم الحبال؛ فالحبال الدنيوية هي الأخطار و في سفينة نوح أحوال لكن من نور فهنا المفهوم ينعكس تماماً لأن الإنسان يصل الى طمأنينة حينما تستريح قدماه حينما يشاهد النور في السفينة لأن طوفان الظلمات يكنس كل شيء حي. نفوس مصابة باليأس المطبق، وشخص تكدست خساراتها حتى أضحت بثقل

سلسلة من الرواسي والتلال. الشاعر وحرفه ينوءان بمختلف العذابات وهما ينتظران على قارعة البر أو على شواطئ البحار حتى تُقبل نحوهما سفينة الخلاص فيشيران لها، ويلوحان بما ملكت أيماهما من الملابس والثياب. يصرخان ويستنجدان ويطلبان الإغاثة، فالسفينة نور الهي.

«ملت من النظر إلى الدبية/ وهي تأكلُ بشراة/ من عطايا دبه الكبير،/ ومن القردة/ وهي تتسلقُ، كل يوم، الأشجار لترمي الثمار/ وتملأ الهواء صراخاً وزعيقاً./ ملت من الكلاب/ وهي تشممُ الجثث،/ ومن البيغاوات/ وهي تدهسُ الكلمات،/ ومن الحمامة/ وهي تتركنا، كل يوم، لنموت/ وسط سفينة الحروف/ بحثاً عن نوح وطوفانه العظيم.» (نفس المصدر، ٢٠٠٩م: ٨)

تتميز هذه المقطوعة الشعرية بنوع من الحيوية و الموسيقى الخفية في تكرار فعل (ملت) وهو إشارة "تفصيلية" ترسل إلى الدارس نصاً أو رسالة تفكيكية يمكن العمل عليها عبر تكرار الملل، ملل روح الشاعر وبحته عن اطمئنان و فجأة يأتي بموتيف نوح و سفينه، تلك السفينة التي من دخلها أمن، ففي دخوله السفينة يأمن من طوفان نوح العظيم، ففي تكرار مفهوم الملل نلاحظ «التدرجية في الإلقاء وفي إيصال الفكرة عبر مراحل وكأنها تخرج من أقماع ترشيحية تقطر منها رسائل الشاعر قطرة تلو الأخرى، وهذه المراحل يمكن تقسيمها إلى ما يلي: مراحل خاصة بعنصري الفعل والحركة داخل الأبيات، وأخرى خاصة بالعنصر الطبيعي بمختلف مكوناته الحيوانية بشكل خاص. عنصر الفعل والحركة: ويقصد به كل الأفعال التي استخدمها الشاعر في هذا الجزء الصغير الكبير والتي يمكن تقسيمها بدورها إلى حقلين، الأول خاص فقط بفعل (مل) وبصيغته الماضية، والثاني خاص ببقية الأفعال. الحقل الخاص بفعل (مل) وقد تكرر بصيغة ظاهرة لمرتين (ملت) وبصيغة ضمنية مرتبطة بواو العطف ثلاث مرّات (انظر العبارات المخطوطة باللون الأسود الغامق). كون الفعل قد ورد في صيغة الماضي مرتبطاً بتاء المتكلم فهذا يعني أن خطاب الشاعر يحمل رسالة موجهة، لها أكثر من

شفرة، ولها أكثر من متلقٍ. فصيغة الفعل الماضي هنا هي من النوع الدال على الحاضر والمستقبل أيضاً، وذلك لتمام وكمال حالة "الملل" وسيطرتها على المتكلم بحكم هذا التكرار المستمر لذات الفعل على طول القصيدة وليس فقط في هذا الجزء الأول. أما عن تعدد وحدة المرسل إليه، فيقصد بها أن رسالة الشاعر موجهة أولاً إلى نفسه، وثانياً إلى القارئ العادي، وثالثاً إلى متلقٍ آخر هو الدارس والباحث الناقد». (غريب، ٢٠١٣م: ٨٥)

«حتى إذا هدأت العاصفة/وقيل يا أرض ابلعي ماءك/هبط الكل من سفينة نوح/فرحين مباركين/إلاي. /وثانية صرخت نوح:/يا رجلاً صالحاً/يا رجلاً عاداً من طوفانه: الجلبة./قال نوح: من أنت؟/قلت: أنا الإنسان./قال: من؟/قلت: أنا المؤمن الضال./قال: من؟!/وتركني في المركب دهرأ فدهراً/حتى إذا غيب الموت نوحاً/تحرك المركب/تحرك بي وحدي/لأواجه طوفان عمري/في موج كالجبال/أنا الذي لا أعرف الملاحة ولا السباحة/وليس لدي حمامة أو غراب.» (كمال الدين، ٢٠٠٧م: ١٩)

نلاحظ موتيف نوح ﷺ يتجه الى معان متعددة، ففي هذا الموتيف نهاية طوفان و بداية طوفان آخر، نهاية طوفان نوح و بداية طوفان العمر، و في النص الشعري حوار حي بين الشاعر و بين نوح ﷺ النبي العظيم و في الشعر أيضاً تناص قرآني و فيه نوع من العرفانية الإلهية، وهذه المعرفة ليست بصوفية كاذبة فهي شذايا من نفس الشاعر فالكل هبط فرحاً إلا شاعرنا العارف، ثم تستمر الموتيفات حول نوح بعد المحاورة و بعد موت نوح يتحرك المركب و ليس السفينة بشاعرنا «إذن فالإنسان الذي يعتبر نفسه اليوم حياً بعد حادثة الطوفان النوحى، هو في حقيقة الأمر الواقع جسد ميت، منذ أن ذهب عنه نوح وتركه لمصيره الأسود. لكن كيف يمكن التصريح بهذا، هل يعقل القول بأنه لا وجود اليوم للحياة على سطح هذا الكوكب؟ والجواب الطامة يوجد في هذه القصيدة، وليست ثمة مساحيق أو ألوان في الكون بأسره يمكنها أن تزين أو تغطي أو على

الأقل تلطف من صدمة مواجهة هذه الحقيقة المرة. (غريب، ٢٠١٣م: ١٧١)
في نص آخر تحت عنوان (قصيدتي الأزلية) يستثمر الشاعر الأساطير السابقة
مبتدئاً بأسطورة الطوفان العظيم ومركب نوح:

«...هكذا أُلقيتُ في الطوفان». (كمال الدين، ٢٠٠٧م: ١٩)

إن الشاعر هنا يكتب أسطوره (قصيدته) وكأن الحياة سفر أزلي متصل يبدأ
بالطوفان لتنظيف الأرض من المارقين، ولأن نوح لم يكن معنياً بإنقاذ الشعراء نجد
أن الشاعر يتسلل إلى مركب نوح خلصة بعد أن أعجزه صدود نوح عنه بعد أن
صم أذنيه عن سماع صراخه ولم يأبه لصيحاته وتوسلاته، حيث يقول:

«كنت أصرخ: / يا رجلاً مبحراً إلى الله / خذني معك / وإذ لم يأبه نوح
لصيحتي / تسللت إلى المركب: المعجزة» (نفس المصدر، ٢٠٠٧م: ١٩)

إن المركب الذي أنقذ الصالحين من الموت تحول إلى سجن للشاعر، فقد نزل
الجميع مباركين وفرحين إلا الشاعر، فقد كان قراره بصعود السفينة قراراً فردياً
ولكن النزول من السفينة (الجلجلة) لم يكن بيده وإذا كان نوح ﷺ قد صم أذنيه
عن سماع صوت الشاعر في بدء الطوفان ورفض اصطحابه، فالشيء ذاته حصل
بعد توقف هطول الماء وابتلاعه من قبل الأرض، بل إن نوح استنكر وجود
الشاعر بالرغم من اقراره بصلاح نوح ورسالته، إن رحلة الشاعر رحلة خيالية
تخترق الزمن، وهي رحلة فردية تقوده فيه الأقدار ويواجه مصيره منفرداً لا أحد
يشاركه المصير وليس له أتباع ولا يوجد لديه حمالة أو غراب كي يخبراه فيما لو
انحسر الماء أم لم ينحسر، إن بقاء الشاعر في السفينة معناه أنه قد بقي على فطرته
ولم يتلوث بما كان يحصل خارج السفينة.

إن الشاعر "أديب كمال الدين" يتخذ من الأسطورة قناعاً لرحلته الزمنية
وهي رحلة وجودية (انطولوجية) بامتياز حيث تنشطر الأسطورة لديه إلى صورة
ومرأة ولا تكاد تفرق بينهما فإن غابت الصورة غابت المرأة وكأنهما متن وهامش
ولكنهما متعادلان في مستوى القيمة الرمزي. أي لا سيادة لأحدهما على الآخر،

وهو هنا يستثمر تقنية القناع بصورة متفرّدة وغير مسبقة، إذ لا يتخذ من شخصيات الأسطورة قناعاً له بل يتخذ من متنها قناعاً ليقول ما يريد ويغدو الحدث الأسطوري حدثاً مركباً يضم الحدث الأصلي والحدث النصي أي الذي كتبه في نصه وهو غير منظور، ويغدو نصه مرآة محدّبة تضم وتجمع كلا الحدثين وكلا البطلين، أقصد بطل الأسطورة والشاعر وكأنهما مرآة لبعضهما البعض.

ما يؤكد كلامنا أعلاه ما نقرأه في المقاطع الباقية من النص ذاته حيث إن الحدث الأسطوري بقي متصلاً ولم يحدث فيه أي قطع، وهذا الاتصال يظهر بينا في ثنايا النص، فبعد أن انتهى الطوفان استمرت الأسطورة بالنمو من خلال أحداث أساطير أخرى أو أحداث دينية مقدسة، فالناس الصالحون الذين أنقذهم "نوح" لم يتوانوا عن اضرام النار لرسول وهاد آخره هو إبراهيم، فالشاعر استخدم موتيف نوح عليه السلام وذلك في خضم المجتمع البشري الذي تارة يتوان وتارة أخرى ينهض وفي موتيفه هذا اخذ الشاعر اتصال الاحداث كنوع من البى ان خاصة فيما يلي:

«ولكنني قبل أن أموت تذكرتك / -ولي في كل يوم موتٌ بليغ- / فقررتُ أن أنادي على نوح / علّه يسمعنا هذه المرة / هكذا ارتبكتُ وأنا وسط الرقصة / وذهلتُ وأنا وسط الدمعة / حيث رأيتُ مشهدَ موتي / وحيداً / فريداً / إلا من التابوت الذي كان طويلاً / كسفينة نوح. (نفس المصدر، ٢٠٠٩م: ٤٤)

الشاعر يأتي بموتيف نوح عليه السلام و سفينته و الحكايات التي تدور حول ذلك النبي العظيم، و يأتي باللحظة الأخيرة وهي التي تسبق الموت بلحظات فقرر الشاعر أن ينادي على نوح فكل هذه الامور التي جاء بها الشاعر هي في الواقع رموز الموت /نوح/ التابوت / سفينة نوح، الشاعر في روحانية خاصة تنمو من صوفية يتصف بها و يدمج موتيف نوح و تابوته الطويل و سفينته الطويلة لاستدعاء تلك الشخصية القرآنية و ذلك لمناجاة قام بها و لاستحضار اللحظات الروحانية و المكان الطاهر الذي يعبر عنه بالسفينة.

موتيف شخصية نوح ﷺ في شعر أديب كمال الدين (١٣٢)

«قال الطائر،/الطائرُ الذي ينامُ عشّه فوق الشجرة الوحيدة:/لا تسألُ عن اسمي/سواءً كان اسمي الغراب أو الحمامة/بل اسألُ عن سفينتك:/سفينتك التي غادرها نوح/منذ زمنٍ طويلٍ/ونزلتُ منها الكائناتُ كلّها/فرحةً مستبشرة./وبقيتَ أنتَ فيها وحيداً كالموت/تنتظرُ معجزةً أن تبحر السفينة/لوحدها من جديد!»(نفس المصدر، ٢٠١١م: ٥٢)

هنا جاء موتيف نوح ﷺ وجاء الطائر الذي هو شاعرنا أديب كمال الدين، فالشاعر يسأل نفسه عن السفينة=السكينة و الأمان ثم يستحضر موتيف نوح ﷺ ذلك النبي الذي فارق السفينة منذ آلاف السنين، فالحمامة «وإن كان لا يحقّ السؤال عن حمامة نوح، فلربّما السؤال عن لونها قد يكون شفيعاً للتعرف إلى ما تعنيه الحمامة في نصوص الشاعر بشكل عام وفي قصيدة "الغراب والحمامة" بشكل خاص». (غريب، ٢٠١٣م: ١٧٣) الشاعر غير فرح ولا مستبشر وذلك بسبب الأوضاع المتردية بسبب الظلم و الاضطهاد الذي يقع عليه و على شعبه، فالسفينة التي تحمل الامان و الاطمئنان غادرت و نوحها توفى منذ أمد بعيد.

«ربّما سأخرج من البئر يوم يبعثون/أو ربّما يقال للأرض ابلعي ماءك/ فأخرجُ من مركب نوح/أو من نار إبراهيم وقد أكلني الرعب/ولفظني الموج/واطفأت المأساة عيوني»(كمال الدين، ٢٠١١م: ٢٢)

في مقطوعته هذه جمع كمال الدين عدّة موتيفات تتحدّث عن فكرة الحرية و الحياة و يحبوها الأمل و يحيط بها النظر الى المستقبل و سين المستقبل في شعره تؤيد ما ذهبتُ إليه، الشاعر تناصّ مع كثير من الأحداث والشخصيات القرآنية، ففي مسار حديثه عن نبي الله يوسف-عليه السلام-وهو في البئر و ينتظر الفرج و بلسان يوسف يتحدّث، فالفكرة هنا النجاة/الحرية/الحياة، يتكوّن هذا الموتيف بتناص الشاعر مع قصة يوسف ثم و بدقة تامّة يدمج القصة بقصة نبي الله يونس ويتناص بتلك القصة بتناص داخلي و مفهوم (يوم يبعثون) يشير الى التناص

موتيف شخصية نوح ﷺ في شعر أديب كمال الدين (١٣٣)

بالآية (لَلَّيْلِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) (سورة الصافات/١٤٤) الشاعر تَقَمَّصَ شخصية يوسف ثم استخدم تناص الآية التي تتحدث عن يونس ﷺ ثم يستطرد حديثه الى نوح آخر ويستحضر طوفان نوح ﷺ بعد أن تمّ العذاب الإلهي و انكشف الغطاء ف (ابلعي ماءك) تتناص مع الآية (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَفُضِيَ الْأَمْرُ عَلَى الْبُحْدِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) (سورة هود/٤٤) استحضر أيضاً نبي الله ابراهيم و تخلص من تلك النار الكبرى؛ هنا نلاحظ موتيف الحرية يظهر في شعر كمال الدين الخلاص من البئر ومن البحر و الحوت و الطوفان و النار الكبرى كل هذه الأمور موتيفات تدور حول معنى الحرية و الحياة و النجاة و لربما الشاعر في خروجه من أرض الرافدين الى أستراليا استحضر تلك القصص القرآنية و الأشخاص الذين نجاهم الله تبارك و تعالى.

هذا عالم آيل لطوفان جارف. لم يبق أمام الشاعر وحرفه الذي عاد في قصيدة (جاء نوح ومضى) سوى الانتظار العبي للموكل بإنقاذ العالم من طوفان لن يبقى على أحد من البشر. لقد بقيا معاً في انتظار نوح وسفينته الجامعة يحدهما أمل الوصول إلى بر الأمان، والتطهر من رجس عالم حقت عليه العاقبة وما من خيار بعدها سوى الانتظار الطويل فانتظرا طويلاً وكثيراً كالواثقين المتقين من حضور نوح وسفينته المنقذة. شخصيتان رئيستان في هذه القصيدة هما: شخصية الشاعر الراوي لقصتها، وشخصية الحرف المنشطر عن الشاعر والملازم له في آن. فضلاً عن الشخصية الغائبة التي مارست حضورها من خلال انتظار الشخصيتين لها إيماناً منهما أن لا خلاص بغير فلكها الذي وسع جوفه بذور كائنات ثنائية حية ستنمو وتكبر في رحم حياة جديدة وعادلة. (الأباري، ٢٠١٤م: ٩٤)

موتيف نوح ﷺ في شعر أديب كمال الدين يُعطي للمتلقي نوعاً من التركيز حول الرسالة الدينية و النجاة الموجود في الدين و الذي يُعبر عنه بالسفينة التي

تمثل الراحة و الاطمئنان من ذلك البلاء العام، كمال الدين لجأ الى تلك السفينة و وجد نفسه ضالاً أمام هذه السفينة العظيمة و أمام ربّانها الكبير نوح العظيم، و بهذا السبب كان يبدأ بعض أشعاره ب(إلهي) يدعو ربّه في بداية المقطوعة ثم يركز على موتيف نوح ﷺ والسفينة.

ملخص البحث :

ارتبطت ظاهرة الموتيف بقضية التكرار في الدرس البلاغي العربي و نلاحظ لهذه النظرية الحديثة التي دخلت الآداب الإنسانية أصولاً في النقد و البلاغة القديمين، ظاهرة الموتيف تعني في الأدب الفكرة الرئيسة أو الموضوع الذي يتكرر، و نلاحظ هذه الظاهرة موجودة عند شاعرنا أديب كمال الدين؛ الشاعر العراقي المهجري المعاصر الذي يقطن أستراليا حالياً و مازل يترجم عواطفه و أحاسيسه بلغته الشعرية و قد عُرف بالحروف في لآئه ركز على الحرف و أوغل في تركيزه؛ موتيف شخصية نوح ﷺ في شعر أديب كمال الدين له دلالات عديدة، فقد تقمص الشاعر شخصية هذا الرسول العظيم و بين الظلم و الاضطهاد من خلال توظيف الرمز الديني في شخصية نوح النبي ﷺ درست هذا البحث من جهة تكرار موتيف نوح ﷺ مبنياً كفاح هذا النبي الذي أشار إليه الشاعر في طيات شعره و أيضاً نلاحظ كفاح الشاعر من خلال توظيفه لهذه الشخصية العظيمة، يهدف هذا البحث الى كشف الكفاح الذي كافحه نوح ﷺ من خلال الإشارة الى التناص القرآني و يتم كل ذلك لترسيخ فكرة الموتيف التي بنى عليها الشاعر مقطوعته الشعرية و سآدرس هذا البحث على أساس المنهج التوصيفي-التحليلي، مبنياً على اتجاه الشاعر نحو هذا الموتيف أو ذاك و سنلاحظ أنه اتخذ الموتيف ملاذاً آمناً يلجأ إليه.

المفردات الدليلية: الموتيف، نوح ﷺ، أديب كمال الدين، الشعر العراقي المعاصر.

Abstract

The motif is rooted in Arabic rhetoric. we can see roots of this

new method that enters to literature and human science in the old Arabic rhetoric. Motif in literature means the main idea or subject that repeats and it occurs in Adib Kamaledin poems. Adib Kamaledin is a contemporary Iraqi poet who lives in Australia now. He still states his emotions through poems and he is known as Hourofi (particle) poet because he has a deep thought in particle. Noah's motif in Adib Kamaledin poems, has various implications. The poet illustrates the character of this honorable prophet and represents the violence through using religious symbols and Noah's character. I've done this study of repeating Noah's motif and his campaigns stated by the poet. We can also see that the poet's campaign by using these motif. The purpose of tis study is stating the Noah's efforts and that's done by Quran inter-textuality to build the intended motif of the poet. I'll do this study by using descriptive method and I'll explain the reasons of poet tendencies toward these motifs and we will see that the poet used motif as his safe shelter.

Key words: Motif, Noah, Adib Kamaledin, Contemporary Arabic poem.

النتائج:

- أراد الشاعر أن يُبين عدم الاستقرار و عدم الأمان في ظل حكم الطغيان فلجأ الى موتيف نوح ﷺ و سفينته، حيث الأمان و الاطمئنان؛
- تتبع كمال الدين صوفية و روحانية خاصة عبّر عنها بموتيف نوح و تكرار أحداث ذلك النبي العظيم حيث ينقل فكرة الحبال الى حبال من نور في سفينة نوح ﷺ؛
- أراد الشاعر بموتيف نوح و سفينته الاطمئنان الاجتماعي و ليس الفردي فقط و ذلك تبين من مقطوعاته الشعرية حيث يفر الشاعر من فرديته الى جمع الجماعة في تذكر أحداث السفينة و ما يدور بها و يريد بكل ذلك الحرية و الأمان و رغد العيش و سلامته و بهذا الموتيف يدعو الى استنهاض الهمم و مكافحة الظلم و الاضطهاد؛

موتيف شخصية نوح عليه السلام في شعر أديب كمال الدين (١٣٦)

- الحرية في جوهر قصيدة أديب كمال الدين هاشماً واسعاً من التفاؤل يكاد القارئ العادي لا يشعر به. فهو، أي الشاعر، لا يسرف مثل الآخرين في سرد مواقع الواقع ومخاوفه وإن اقترب من ذلك الواقع الذي يصعب الفرار من انعكاساته، فإن روح الأمل تظل نابضة حية ويظل الحلم حاضراً بما يكفي، ليس بالتمسك بالحياة وحسب، وإنما للوعي بأهمية تجاوز ردود فعل المرحلة الصعبة ودائماً تكون الكلمة الضوء والدليل. وخاصة في حوار مع نوح عليه السلام؛

- يستثمر الشاعر في شعره بعض عناصر النصوص الدينية المقدسة والمعروفة في بنائها، ولكون هذه النصوص حافلة بكثير من الجرائم ضد الأنبياء والقديسين وغيرهم، وجدنا الشاعر يحاول إعادة وتوظيف هذه العناصر و يواكب أحداث عصره و يستفيد من أحداث هذه الشخصيات. ولهذا وظّف موتيف نوح عليه السلام و سفينته و استخدم التناص القرآني.

* اديب كمال الدين :

- أديب كمال الدين Adeeb Kamal Ad-Deen شاعر معاصر من العراق ولد عام ١٩٥٣ في محافظة بابل، تخرج من كلية الإدارة والاقتصاد - جامعة بغداد ١٩٧٦ وحصل على بكالوريوس في الاقتصاد، كما حصل على بكالوريوس في الأدب الإنجليزي ١٩٩٩ من كلية اللغات - جامعة بغداد، وعلى دبلوم الترجمة الفورية من المعهد التقني لولاية جنوب أستراليا ٢٠٠٥. وعمل في العديد من الصحف والمجلات العراقية والعربية. يعتبر من أهم شعراء جيل السبعينيات في العراق. وقد اشتهر بتركيزه على جمالية الحروف فكان الحرف بالنسبة للشاعر كينونة متعددة الرموز والمستويات منها: المستوى الدلالي، الترميزي، التشكيلي، التراثي، الأسطوري، الروحي، الخارقي، السحري، الطلسمي، القناعي، الإيقاعي، الطفولي. كُتب عنه عدد كبير من الدراسات والمقالات النقدية في مختلف الصحف والمجلات العربية لنقاد من العراق وتونس ومصر وسوريا وفلسطين ولبنان والجزائر والمغرب وإيران وأستراليا. (<http://www.adeebk.com>)

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- أ. ريتشاردز (١٩٦٠م) مبادئ النقد الأدبي، ترجمة د. مصطفى بدوي، مراجعة د. لويس عوض، مصر، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة العامة للطباعة والنشر.
- اسماعيل، عز الدين (١٩٧٢م): الشعر العربي المعاصر/قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، ط٢، بيروت، دار الثقافة.
- الأنباري، صلاح (٢٠١٤م) إشكالية الغياب في حرفة أديب كمال الدين، لبنان، بيروت، منشورات ضفاف.
- أنيس، إبراهيم (١٩٧٨م)، موسيقى الشعر، مصر، القاهرة، ط٥، مكتبة الانجلو المصرية.
- بلاوي وآخرون (٢٠١٢م) موتيف الإغتراب في شعر يحيى السماوي، مجلة العلوم الإنسانية الدولية، إيران، طهران، العدد ١٩.
- تقوي، محمد، الهام دهقان، (١٣٨٨ش)، «موتيف چيست و چگونه شكل مي گيرد»، اىران، طهران، مجلة نقد ادبى، جامعة تربيت مدرس، العدد الثامن.
- ربابعة، موسى (١٩٨٨م) الموتيف في الشعر الجاهلي، الأردن، مجلة مؤتته للبحوث والدراسات، جامعة مؤتته (الأردن)، المجلد الخامس، العدد الأول.
- الشامي، حسن (٢٠٠٧م) «مفاهيم أساسية في دراسة الموروث الشعبي الشفهي»، المملكة العربية السعودية، الرياض، مجلة الخطاب الثقافي-دراسات، جامعة الملك سعود، العدد الثاني.
- غريب، أسماء (٢٠١٣م) تجليات الجمال والعشق عند أديب كمال الدين، لبنان، بيروت، منشورات ضفاف.
- طه، المتوكل (٢٠٠٤م) حداثق إبراهيم، لبنان، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- كمال الدين، أديب (٢٠٠٩م) أربعون قصيدة عن الحرف، الأردن، عمان، دار أزمنة للنشر والتوزيع.
- _____ (٢٠١١م) أقول الحرف و أعني أصابعي، لبنان، بيروت، دارالعربية للعلوم ناشرون.
- _____ (٢٠٠٧م) قصيدتي الأزلية" من ديوان شجرة الحروف، الأردن، عمان، دار أزمنة للنشر والتوزيع.
- _____ (٢٠١٤م) إشارات الألف، لبنان، بيروت، منشورات ضفاف.

موتيف شخصية نوح عليه السلام في شعر أديب كمال الدين (١٣٨)

- الملائكة، نازك (١٩٨٩م) قضايا الشعر المعاصر، ط٩، لبنان، بيروت، منشورات دارالعلم للملايين.

- (<http://www.adeebk.com>)